

الاتصال وإدارة النزاعات الدولية

أ/ عبد الحق بن جديد

كلية الحقوق

جامعة باجي مختار - عنابة.

Résumé :

Pour être un acteur majeur de la scène internationale, un pays doit se disposer de sa propre capacité de projection d'image dans le monde. Les mass médias ne sont pas seulement utilisés comme moyens pacifiques d'influence dans les relations internationales.

En période de crise et de conflit, le recours à la désinformation et à la persuasion de masse est largement répandu.

La guerre médiatique, fondée sur la puissance, la permanence et l'ubiquité des médias, leur capacité d'influencer, sous prétexte d'information, des masses, est devenu une réalité. Le Vietnam (1965-1975) avait déjà permis d'entrevoir certaines possibilités.

Les guerres de Golfe (1990-1991 et 2003) les ont confirmées.

Les masses médias sont désormais un moyen de choix de l'action extérieure d'une nation. L'instrument est, peut être même, aujourd'hui en avance sur son utilisateur, l'homme.

المخلص:

يحاول هذا المقال التعرض إلى أهمية الاتصال في إدارة النزاعات، فبفضل ما أحدثته وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع الدولي من إثارة لدورها الرائد في توفير المعلومات والمعارف وقدرتها على تحريك الجماهير وربطها بما يجري من أحداث أدركت الوحدات السياسية أن تحقيق مصالحها يمر عبر التحكم في تكنولوجيا الاتصال.

وباعتبار أن مصالح الدول تتعارض فهذا يؤدي حتما إلى ظهور نزاعات بينها يكون التفوق فيها لمن يملك وسائل اتصال متطورة ويحسن استعمالها لتحقيق مآربه.

تمهيد:

إن من أبرز التطورات في العلاقات الدولية المعاصرة الاعتراف بالاتصال كعمل منظم ودائم من أعمال الحكومات في أوقات السلم والحرب على السواء، ذلك أن العملية الاتصالية يمكن أن تسهم بشكل كبير في حل الصراعات وتسويتها، كما تمثل العملية الاتصالية قلب أسلوب الردع. ويمكن أن تقع الحرب بسبب قيام طرف بإرسال إشارة أو رمز اتصالي فسره غيره على أنه مقدمة إعلان حرب، فكانت تلك الإشارة العامل الذي قدح زناد الحرب.⁽¹⁾

لقد أثرت النزاعات الدولية على وسائل الاتصال من حيث الوظائف والمضمون والحجم، نظرا لأنها سلاح بيد صانع القرار. فأصبحت وسائل الاتصال جزءا من قوة ضاغطة في تشكيل العلاقات الدولية ومظهرا يعبر عن هذه العلاقات سواء أكانت في حالة انفراج أو توتر. فكل دولة في عملية إدارتها للنزاع مع غيرها تستخدم عناصر مرئية ملموسة كالقوة الاقتصادية والبشرية والعسكرية، وأخرى غير ملموسة أو معنوية يلعب الاتصال في تدعيمها دورا مهما وفاعلا.

1 - طبيعة العلاقة بين الاتصال والسياسة بشكل عام:

إن الاتصال وأشكاله أدوات سياسية، بمعنى أن للسياسة علاقة لا تنفصم بالاتصال وأشكاله مع أن هناك جدلا حول هذه العلاقة. فالبعض يقولون أن الاتصال أداة حيوية لمراقبة السلطة بصفة دائمة، بل إن الاتصال قوة موازية ومساوية للسياسة لأن مهمة وسائل الاتصال هي أن تعمل كمرآة تعطي صورة صادقة لما تفعله الحكومات بينما يرى آخرون أن الاتصال يجب أن يكون أداة في خدمة الدولة حتى يتمكن من المساهمة في إيجاد نظم اجتماعية سياسية جديدة متينة ومستقرة⁽²⁾.

من المعروف أن وظائف النظام السياسي تتحدد على أساس تصنيف ثنائي هما المدخلات والمخرجات، فالمدخلات تتكون من المطالب الموجهة إلى النظام وما يحظى به من تأييد، والمخرجات هي عبارة عن قرارات وسياسات يستخدمها النظام لتلبية تلك المطالب، و يكون دور الاتصال هو الربط بين المدخلات والمخرجات⁽³⁾.

إن ضبط النظام السياسي يتركز على الاتصالات حيث أن قدرة الدولة على التحكم في مجريات الأمور تتناسب مع قدرتها على معالجة المعلومات. وقد عبر "واينز" عن العلاقة بين السيبرنتيك (cybernetics) بالسياسة والاتصال عندما قال: إننا إذا أدركنا السياسة كنظام، فإن الاتصال هو العصب الذي يتحكم في هذا النظام. كما أن قدرة النظام على ممارسة السيطرة والتحكم ترتبط بقدرته على التعامل مع المعلومات، وأن الاتصال والتحكم معنيان مترادفان، ففي كل وقت نقوم فيه بالاتصال فنحن نقوم كذلك بالتحكم. (4) ولا يمكن الحديث عن عملية سياسية دون الإشارة إلى عنصر الاتصال الذي يمثل محور التفاعل السياسي في الظواهر السياسية المختلفة، إذ لا يمكن تصور عملية الحكم دون أن تكون العملية الاتصالية حاضرة فيها. كذلك تعتمد عملية القرار - الرشيد خصوصا - على الاتصال وتبادل المعلومات بين صناع القرار والمجتمع المعني بالقرار المراد اتخاذه. ولقد عبر "باي" عن ذلك بقوله إن ثمة علاقة جوهرية بين العملية الاتصالية والعملية السياسية، فإذا كان عالم السياسة يقوم على القوة، فإن رغبات من يملكون القوة لا بد أن تنتقل إلى من يتوقعون أنهم سيستجيبون لها. وإذا كان عالم السياسة يبني على شرعية السلطة، فإن الأمر يستلزم وجود الوسائل التي تقوم بالتعبير الرمزي عن القيم والمعايير الإجرائية لمثل هذه النظم. وإذا كان عالم السياسة يقوم على المشاركة، فإن ذلك يعني إيجاد القنوات التي تنقل مصالح المواطنين ومطالبهم إلى صانع القرار. ولو أن عالم السياسة يقوم على الاختيار بين البدائل، فإن ذلك يلزمه أن يحيط المهتمين بالقرارات والسياسات ببدائل الاختيارات. (5)

إن الاتصال في النظام السياسي يشبه النظام العصبي في الجسم البشري كما يقول "كارل دويتش Karl W. Deutsch". فحتى تعمل الحكومة بكفاءة وفعالية يجب أن توفر قنوات اتصال على درجة عالية من الكفاءة لنقل وإرسال القرارات السياسية وتدفق المعلومات من وإلى مركز صنع القرار. (6) كما أن الاتصال وتطوره في عصرنا هذا أثرى الممارسة الدبلوماسية وفتح أمامها آفاقا جديدة، فمكن الدبلوماسيين من الاتصال بحكوماتهم، ولم يعد الدبلوماسي الوسيلة الوحيدة التي تنقل المعلومات والأخبار، بل أصبحت وسائل الاتصال بما هو متوفر لها أقدر وأسرع على متابعة الأنباء والتعرف

عليها، وبهذا نجحت وسائل الاتصال في أن تضع في متناول الحكومات تغطية شاملة للأحداث بحيث تستطيع تزويد ممثليها في دول العالم بتعليماتها، وبالمقابل لا تستطيع الدولة اليوم إخفاء ما يجري داخل حدودها. كما أن ما تقدمه وسائل الاتصال المختلفة من معلومات عن الأحداث والمجريات والأمور الدولية تمثل حصيلة مهمة للقائمين على السياسة الخارجية، لأن رجل السياسة وخاصة الذي يعمل في المجال الخارجي يجب أن يعي ويهتم بما يجري حوله.⁽⁷⁾

ويوضح الدكتور " محمد مصالحة " مجموعة من المظاهر المعبرة عن الارتباط بين الاتصال ووسائله من جهة ورجال السياسة من جهة أخرى فيما يلي:

أولاً- المعرفة: يلجأ القائمون على السياسة الخارجية إلى وسائل الاتصال بأشكالها للحصول على معلومات حول الأحداث الدولية وردود فعل الفاعلين في المجال الدولي على تلك الأحداث مع أنهم يملكون قنوات رسمية للحصول على بعض المعلومات، فوسائل الاتصال لها قدرة أوسع على جمع المعلومات ونشرها أكثر من وسائل الاتصال الخاصة بالحكومات.

ثانياً- التقييم: فوسائل الاتصال المختلفة تمكن السياسيين من تقييم الأحداث وإستيعاء الأفكار من الآراء التي يطرحها المحللون العاملون في تلك الوسائل.

ثالثاً- الأهمية: فبناء على ما تركز عليه وسائل الاتصال وما تتجاهله يستطيع رجل السياسة تحديد الحدث المهم والإهتمام به وإغفال الأحداث غير المهمة، ومن هنا يمارس الرأي العام ضغطه على القائمين على السياسة، لأن تركيز وسائل الاتصال على حدث دون غيره يجعل الرأي العام يهتم بذلك الحدث.

رابعاً- الرأي العام: فوسائل الاتصال تعتبر مقياساً يوضح اتجاهات الرأي العام السائدة، حيث يطلع القائمون على السياسة من خلال المقالات والتعليقات على شرائح وطبقات الرأي المختلفة.⁽⁸⁾

2 - الاتصال الخارجي (الدولي):

إن الاتصال اليوم موضوع اهتمام دولي، فالعالم يزداد ترابطاً بما وفرته وسائل الاتصال الحديثة من إمكانيات وبذلك تجلت صفة القرية العالمية على العالم الذي نعيش

فيه. ويقسم الاتصال إلى داخلي وخارجي تماما كالسياسة، دون أن يعني ذلك التقسيم الفصل بينهما، ولكن كما أن هناك فرقا بين السياستين الداخلية والخارجية يوجد فرق بين الاتصال الداخلي والخارجي.

إن الإحاطة العامة بمفهوم الاتصال ضرورية وهامة جدا للدارس للاتصال الدولي، لذلك فإننا سنتطرق لماهية الاتصال دون الدخول بعمق في تعاريفه المتشعبة ونماذجه المختلفة ومدارسه المتعددة.

فالالاتصال هو أحد مسالك الحركة السياسية، والحركة السياسية أو بعبارة أدق نشاط الدولة الذي ينطلق من مسالك ثلاثة: العنف والخديعة والاتصال. وكلمة الاتصال تعني في أوسع معانيها بهذا الخصوص نقلا لمفاهيم بقصد الإقناع والافتتاع، هي عملية من جانبين أساسها خلق الترابط في الحركة إن لم يكن على الأقل المساندة.⁽⁹⁾ ويذهب آخرون في تعريفهم إلى كون مفهوم الاتصال عملية، والمعجم الإنجليزي يعرف العملية (**process**) بأنها أية ظاهرة توضح تغييرا مستمرا في الزمن أو أية عملية أو معالجة مستمرة. إن أي فرد يقوم بالاتصال إن لم يدرك أهمية مفهوم دينامية الاتصال يترتب على ذلك نتائج سلبية وخاصة أولئك الذين تناط بهم مسؤولية الاتصال الدولي في هذا العالم الديناميكي المتغير باستمرار.

في حين يعرف الاتصال الخارجي (الدولي) بأنه جهود مقصودة تحاول نشر الأفكار والآراء والمعتقدات بين جماهير الدول الأخرى لجعلها تعتنق وتتنبئ أو تؤمن أو تتعاطف مع قضايا الدولة القائمة بالاتصال الدولي.⁽¹⁰⁾

وتهتم معظم دول العالم في العصر الحديث باستخدام الاتصال الدولي لخدمة أهداف سياستها الخارجية، ولا يفرق الخبراء في هذا المجال بين مصطلح الإعلام الدولي، والاتصال الدولي، حيث تأخذ الحكومات في اعتبارها عند استخدامها لهذا الاتصال، التقييم الواقعي للتأثيرات السياسية التي يمكن أن تحدثها الصحف والإذاعات المسموعة والمرئية. وتزداد أهمية الاتصال الدولي كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية بالنسبة للدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا... حيث تتزايد مصالح هذه الدول على المستوى الدولي ويتزايد دورها في السياسة الدولية، لذا فإنها تعمل جاهدة

على تقوية الوسائل المختلفة لسياستها الخارجية، وفي مقدمتها وسائل الاتصال، من أجل تحقيق مصالحها وتوسيع دائرة نفوذها وتعزيز وتقوية دورها السياسي على الصعيد الدولي.

لقد تطور الاتصال الخارجي منذ الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا، سواء من حيث الكم أو الكيف، وكذلك الأساليب والهياكل التنظيمية ومستوياتها. شهدت ساحة الاتصال الدولي كثيرا من الإبداعات والإشراقات التي جعلت العالم يعيش في مجتمع واحد كبير بالمفهوم الجغرافي، أو في قرية عالمية كما قال "ماكلوهان"، والسبب في ذلك هو التكنولوجيا التي تغلبت على المسافات والأزمان، فلم يعد يحسب لهما حساب. وتاما كما اتسمت فترات سابقة بأهم الابتكارات والاكتشافات فيها، فكان عصر البرونز وعصر البخار وعصر الثورة الصناعية، وعصر الذرة، نسبة إلى الاكتشافات الأكثر تأثيرا في حياة البشر، فإن العصر الذي نعيشه اليوم يستحق بامتياز تسميته عصر المعلومات والثورة المعلوماتية. وهذه الثورة الديناميكية بدأت بالقفزة المدهشة لتكنولوجيا الحوسبة ومعالجة المعلومات واندماجها مع التقدم المذهل لوسائل الاتصال (الهاتف، والتلفزيون، والمحطات الفضائية)، في منظومة واحدة. ثم التطور غير المسبوق في تراكم المعرفة والانتقال من المعرفة العلمية إلى تطبيقاتها العملية بسهولة أكبر وزمن أقل من جهة، والسرعة العجيبة في نقل هذه المعرفة وتعميمها على مستوى العالم نتيجة لذلك الاندماج من جهة أخرى. وأخيرا ظهور الشبكة الدولية للمعلومات والتي يعرفها الجميع باسمها المشهور الإنترنت، التي استفادت من تطور وسائل الربط بين الحواسيب الآلية محليا وإقليميا ودوليا، فأقامت كيانا إلكترونيا ضخما يحوي بلايين المعلومات والبيانات (الاقتصادية، السياسية، الفنية، البيئية) وعددا هائلا من الخيارات المنفلتة من أي نوع من الرقابة تحت تصرف طلاب العلم والمعرفة.⁽¹¹⁾

لقد أدركت الدول أهمية الوظيفة الاتصالية الدولية وبدأت تعمل بشكل منظم على مراجعة سياساتها الإعلامية الخارجية وإخضاعها للتقييم العلمي والموضوعي. ويأتي ذلك لتحسين أدوات العمل والمنهج لمواجهة عالم شديد المنافسة وسريع التغير، ولا يرحم

المتقاعسين. كما أن رهان كسب الرأي العام الدولي يتطلب استراتيجيات اتصال اقناعية ليست في متناول الجميع.

خصائص الاتصال الخارجي (الدولي):

يمكن حصر أهم خصائص الاتصال الخارجي فيما يلي:

- 1 - يتطلب قدراً معتبراً من التخطيط خاصة فيما يتعلق بالأهداف والرسالة.
- 2 - يتطلب اهتماماً وهياكل خاصة تتلاءم مع طبيعة ونوعية العلاقة الاتصالية بين مصدر المعلومات والجمهور المستهدف. فالرسالة تصبح مستقلة عن المرسل بمجرد إرسالها. حيث أن تصحيحها قد يؤدي إلى بروز نوع من التناقض وفقدان الثقة من جانب الجمهور المستهدف، الذي ينتمي إلى تيارات حضارية وفكرية مختلفة. وهو ما يستوجب بالتالي أن تتوفر في الاتصال الدولي عدة صفات مثل: القدرة على التنبؤ، الحذر، عدم المبالغة، وبعد النظر.⁽¹²⁾

ويرى بعض الباحثين أن هناك عدة عوامل تتحكم في نجاح أو فشل الاتصال

الخارجي:

- 1 - ضرورة التخطيط العلمي والمنظم للاتصال الدولي.
- 2 - ضرورة الربط بإحكام بين الاتصال الدولي والعمل الدبلوماسي.
- 3 - يتعين على الاتصال الدولي أن ينطلق من لغة المصالح، وأن يبتعد عن لغة العواطف والانفعالات باعتبار أن الاتصال الخارجي يستهدف إيجاد علاقة المنفعة وأدوات ارتباط بالمصالح.
- 4 - ضرورة الربط والتنسيق والتكامل بين الاتصال الخارجي ومجموعة من الأدوات الأخرى المساعدة والمدعمة له، مثل:

- السياسة الثقافية، وعملية التبادل والتعاون الثقافي (منح التكوين...).
- السياسة السياحية: باعتبارها عاملاً للتواصل والانفتاح الحضاري والثقافي على الآخرين.

- السياسة الاقتصادية: بحيث لا تؤدي فقط إلى تحقيق المصالح المادية، وإنما تقدم أيضا صورة أفضل عن دولة ما لدى الأمم والدول الأخرى من خلال سياسة التعاون والمساعدات الاقتصادية.

3 - الاتصال وإدارة النزاعات:

ليست النزاعات مجموعة أحداث منعزلة تجري عملية تغطيتها إخباريا، إنها تركيب معقد ومتشابك ويضم جوانب وأبعاد متعددة، وهي لا تحدث في فراغ. بل هي بنت مجتمعها وعصرها، ونتاج ظروفها، بمعنى أنها تحدث ضمن سياق معين. وغالبا ما يتم تفسير النزاعات من منظور المنظومات الدولية، فالمنظومة الدولية ليست مجرد دول، ولكن منظومة السياسة الدولية هي نمط العلاقات بين الدول. ويعرف القاموس كلمة منظومة على أنها مجموعة من الوحدات المتداخلة. ويرى كثير من المفكرين خاصة من المدرسة الجيوستراتيجية أن السمات المختلفة للنظام الدولي، وكذلك بنية النظام وطريقة توزيع القوى فيه في مرحلة معينة تؤثر كلها في سلوكيات الوحدات أعضاء النظام. فكلما ازداد الاندماج في النظام الدولي الذي من أبرز سماته حاليا ازدياد الاعتماد المتبادل بين الدول وازدياد الاتصال بينها في مختلف الميادين، كلما ازدادت احتمالات النزاع. فالاحتكاك بين دول ذات مصالح عديدة متفقة حينا ومختلفة أحيانا لا بد أن يولد النزاعات كما يولد التعاون. ويزيد في ذلك أن النظام الدولي الذي يفترض أن تنظم علاقات وحداته بعضها ببعض بقوانين وأعراف دولية هو " مجتمع فوضوي " نتيجة الاختلاف الكبير بين الدول من حيث قيمها وثقافتها وتجربتها، وكذلك غياب الآليات التنفيذية القادرة مثلا على تنظيم علاقاتها بشكل فعال. كل ذلك أضعف دور القوانين والأعراف الدولية وأفقدتها الكثير من مصداقيتها وشرعيتها. ويظهر ذلك في قلة فعالية الدور الأمني السياسي للمنظمات الدولية بمختلف فروعها في المراحل التي وجدت فيها هذه المنظمات في تطور النظام الدولي، ونشير على سبيل المثال إلى عصابة الأمم وإلى الأمم المتحدة حاليا.

يحدث النزاع نتيجة تعارض أو تصادم بين اتجاهات مختلفة أو عدم توافق في المصالح بين طرفين أو أكثر مما يدفع بالأطراف المعنية مباشرة إلى عدم القبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره باستخدام وسائل سلمية أو القوة المسلحة. يكمن النزاع إذن، في

عملية التفاعل بين طرفين اثنين على الأقل ويشكل هذا التفاعل معيارا أساسيا لتصنيف النزاعات بشكل واسع.⁽¹³⁾

وإدارة النزاع (**conflict management**)، تطابق إلى حد ما مصطلح (**conflict regulation**)، ويستخدم كمصطلح نوعي يغطي بصفة شاملة المنظور الإيجابي للتعامل مع النزاع من حيث احتوائه.⁽¹⁴⁾

ومن يستعرض أدبيات العلوم الإنسانية والأدبيات الإعلامية، يلاحظ وجود أنواع عديدة من النزاعات والحروب ترافق كل منها صفة تدل على نوع هذه الحرب أو ذلك النزاع كالحرب الباردة، أو الوقائية، الاقتصادية أو السياسية، الخ... إذن، تستعمل كلمتا حرب ونزاع بمعاني شتى ولوصف حالات ومظاهر مختلفة.

إن من سمات النظام الدولي أنه يتسم بالديناميكية والتغير المستمر وتعمل الوحدات السياسية جاهدة على تغيير وسائلها وآلياتها لمواكبة التحولات الحاصلة فيه. فلم يعد النزاع مسألة مواجهة بين جيشين في مكان بعيد، بل أصبح النزاع يعتمد على وسائل الاتصال بالدرجة الأولى ويلعب فيه الرأي العام المحلي والعالمي دورا فاعلا.

لقد كتب « ريتشارد نيكسون **Richard Nixon** » في كتابه " ست أزمت " الذي نشره عام 1960 قائلا إن « القوة العسكرية حيوية ولكنها إن لم تدعم ببرامج اقتصادية وسياسية ودعائية فإنها ليست كافية أبدا ». ⁽¹⁵⁾ وجرى تجسيد ذلك حيث أصبح الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا يسمى بالبعد الرابع، وذلك إضافة إلى العناصر التقليدية المعروفة من قبل وهي الاقتصاد، القوة العسكرية والديبلوماسية. لقد شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربا شعواء على الاحتكارات الإعلامية الأوروبية بغرض إيجاد سوق عالمية واسعة أمام وسائل الاتصال الأمريكية، أي بمعنى آخر إعادة تقسيم الخارطة الإعلامية الدولية إلى مناطق نفوذ جديدة يكون للولايات المتحدة الأمريكية اليد الطولى فيها، تماشيا مع الدور القيادي للعالم الذي تريد أن تضطلع به بمفردها. لقد أكد " **Zbignew Brzezinski** " هذا التوجه بقوله، يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن حققت تفوقها العسكري، أن تحافظ على هذا التفوق من خلال تحكمها في شبكات الاتصال الدولي. وفي الحقيقة يعد " **Bzrezinski** " من المنظرين الأوائل

الذين أدركوا الدور المتنامي والمؤثر لوسائل الاتصال الجماهيري في العلاقات الدولية. (16)

ويجب أن يكون واضحا أن العامل الحاسم والمقرر في إدارة النزاع هو السياسي. بمعنى أن القيادة السياسية هي مركز صنع القرار المتعلق بالنزاع، ويبقى الاتصال عاملا متغيرا وتابعا للسياسي.

تعكس إدارة النزاع طبيعة النظام السائد، ونظام الملكية السائد في قطاع الاتصال، ونوعية الدور الذي يلعبه الاتصال في المجتمع في ضوء الفلسفة الإعلامية السائدة، ومستوى الخبرة الاتصالية، وحجم ونوعية الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة والمنوفرة. تشمل عملية التأسيس لإدارة النزاع إعلاميا، ليس فقط الحسم المعلوماتي والفكري، بل أيضا حسم البعد اللغوي للنزاع. إن اللغة ليست محايدة، إن الكلمات عبارة عن أوعية للمعاني، وإن للكلمة دلالات اتصالية مختلفة. ولذلك يصاحب كل نزاع صراع حول نوعية المصطلحات المستخدمة، أو حول المضمون الذي يحتويه المصطلح الواحد.

لقد تضاعفت الأهمية الذاتية للاتصال ليصبح واحدا من الأسلحة الإستراتيجية المستخدمة في إدارة النزاع. وهذا ما يفسر التحام الاتصال بألة الدولة، بغض النظر عن طبيعة النظام السائد. لقد أظهرت الخبرة المعاصرة أن وسائل الاتصال قد نجحت في أن تكون المعيار الذي تقاس به كفاءة الأداء العام للنظم السياسية القائمة. (17)

لقد أعادت النزاعات المعاصرة الأهمية للإذاعة وأبرزت الدور المتميز للتلفزيون والأقمار الصناعية - البث الفضائي - (18) لقد اعتمدت الإدارة الأمريكية التلفزيون (أقوى وسائل الاتصال الدولي) وسيلة أولى لتغطية حرب الخليج الثانية لأن التلفزيون يعتمد على إستراتيجية التمشهد - الاستعراض - (SPECTACLES) لتقديم الواقع، بمعنى أن التلفزيون يقوم بمسرحة الواقع عبر الاستعراض. وفي الوقت ذاته يقوم بعملية معقدة لأسطرة الواقع. ومن الصعب فهم عمليتي التمشهد والأسطرة خارج إستراتيجية القوى المهيمنة وهاجسها الدائم المتمثل في خدمة مصالحها. كانت مهمة التغطية التلفزيونية لحرب الخليج الثانية عدم التعامل مع هذه الحرب كمأساة إنسانية ملموسة، بل

كوقائع مجردة تتصل بعلم الخيال، كأى سيناريو، وكأى لعبة من لعب الكمبيوتر. وقد تحقق ذلك كله من خلال النقل الاستعراضي لوقائع الحرب، والتركيز على جوانبها التكنولوجية. وأكد الباحث الفرنسي " Jean Baudrillard " في كتابه " حرب الخليج لم تقع " إن الحرب كانت مناسبة لإنتاج صورة من نوع خاص همشت الأبعاد الإنسانية للحرب، وغيبتها وحجبتها. (19)

الإدارة الإعلامية للحرب من طرف الولايات المتحدة الأمريكية حقق لها وضعا احتكاريا للمعلومات المتعلقة بالحرب، ولتخزين هذه المعلومات، ولخدمتها، ومن ثم لسبل وطرائق توزيعها. وكان الهدف من ذلك كله تحقيق السيطرة الأمريكية المطلقة على مضمون الخطاب الإعلامي المتعلق بالحرب على الأصعدة المحلية (داخل الولايات المتحدة الأمريكية) والقارية (أوروبا خاصة) والساحة الدولية (آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط)، ومن ثم التحكم في الرأي العام وتوجيهه بما يخدم مصالحها. (20)

كان تحييد المشاهد واحدا من الأهداف المركزية للاستراتيجية الإعلامية الأمريكية في "حرب الخليج الثانية"، وقد تحقق هذا الهدف من خلال الصورة التي قدمتها التغطية المصورة لحرب منبعها التصورات المسبقة لها، وليس حركة الأحداث، أو التطورات المحددة والواقعية للحرب. لقد استخلصت الإدارة الأمريكية العبرة من حرب فيتنام فاستخدمت بدقة متناهية الاتصال لإدارة حرب الخليج وقد تحقق لها ذلك. حيث تم التركيز على جانب غير مسبوق، ونقصد به التركيز الهائل على النشرات الدعائية التجارية للأسلحة. كان التركيز على التكنولوجيا على حساب الإنسان. ويعكس هذا تعاظم الدور الذي لعبته تكنولوجيا السلاح في هذه الحرب الحديثة. وفي ضوء ذلك يمكن فهم شعار "الحرب النظيفة clean war " الذي رفعتة الإدارة الأمريكية للإعلام أثناء حرب الخليج الثانية. (21)

الخاتمة:

لقد تغير واقع النزاعات وتطور، مع تطور وسائل الاتصال، وهذا التطور المذهل والسريع لن يتوقف بل سيزداد سرعة حتى يصل إلى المرحلة التي يتساءل فيها الناس، كما قال " **Toffler** " (22) هل مزيد من السرعة مرغوب أو بعبارة أخرى هل إنسانيا ممكن؟ وهذا النوع من الحوار ليس فلسفيا ولا جدليا ولا هو ممارسة عقلية لقضايا منطقية يقترحها المتحاورون للنقاش بل إنها حقائق صعبة " **hard facts** " لا بد من التعامل معها بالتسليم. لم يعد العامل العسكري كافيا لإدارة النزاعات بل أصبح نجاحه مرهونا بمهارة استعمال وسائل الاتصال التي تبين أنه لا يمكن الاستغناء عنها.

الهوامش:

- 1 - د.الحسان بوقنطار، العلاقات الدولية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1985. ص.15
- 2- Mac Bride, Sean, Many Voices one world. Unisco, Paris, 1980.P35
- 3- David Easton, Analyse du système politique, traduction de Pierre Rocheron, Armand Edition, 1974, P24
- 4 - كمال المتوفي، نظريات النظم السياسية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1985 ص.147.
- 5 - بسيوني إبراهيم حمادة، دور وسائل الاتصال في صناعة القرار في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص ص50-51.
- 6- Karl, Deutesch. The Analysis of International Relations. Prentice Hall inc, New Jersey, 1978. P40
- 7- Cohen, Bernard, C. The Press and Foreign Policy princeton University Press, New Jersey, 1963 P.60
- 8 - د.محمد مصالحة، دراسات في الإعلام العربي، مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، بغداد، 1984. ص.70.
- 9 - حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974، ص.151.

- 10 - أحمد بدر، الإعلام الدولي: دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، مكتبة غريب، القاهرة، 1987. ص20.
- 11 - سميير إبراهيم حسن، الثورة المعلوماتية وأفاقها، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد 1، 2002، ص207.
- 12 - عبد الله زلطة، الإعلام الدولي في العصر الحديث، دار النشر للجامعات، مصر، 2001، ص19.
- 13- Singer, David J. International Conflict : Three Levels of Analysis, World Politics , vol 12, April 1960. PP453-461
- 14 - محمد عبد الغفار، فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية، دار الطباعة والنشر، الجزائر، 2003، ص237.
- 15- C.J.Bertrand, les Medias et l'information aux Etat –Unis depuis 1945 p. 69.
- 16- Fouad Benhella, Le choc de la communication globale, editions publisud, Paris,2005 p.8.
- 17 - أديب خضور، الإعلام والأزمات، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2001 ص23.
- 18 - المرجع السابق ص95.
- 19 - المرجع السابق ص94.
- 20 - المرجع السابق ص93.
- 21- Middle East, Arms Bazaar, New york times , 1991
- 22 - محمد شمو، الاتصال الدولي، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2002، ص295.